الواقعيّة الاجتماعيّة وأثرها في الرّواية العربيّة، قراءة في نماذج مختارة.

صبحا حسين بني صخر[1]* د. منتهى طه الحراحشه[2]

ملخص

يسلّط هذا البحث الضوء على حقبة تاريخيّة مهمّة من تاريخ التطوّر الروائيّ العربي من حيث الشكل والمضمون الفكريّ، وهي المرحلة التي تأثّرت فيها الرّواية العربيّة بالواقعيّة الاجتماعيّة العالميّة عندما تسرّبت إلى الأدب العربيّ، حيث أخذ الروائيّون يعبّرون عن المجتمع وهمومه اعتمادًا على الأنظار الفلسفيّة لهذا التيار الفكريّ الفلسفيّ في رواياتهم.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ، مستعيناً بالمنهج التاريخيّ لسرد الظاهرة ثمّ تتبعها ثمّ وصفها، فتناولت الباحثة جذور الواقعيّة في الرّواية العربيّة، وأوضحت أهمّيّتها في تطوير الرّواية والنهوض بها بوصفها فنًّا إنسانيّا جديرًا بالاهتمام، وكون الرّواية مسرحاً مهمّاً لعرض الواقع وتصويره أفضل تصوير.

وقُسّم البحث إلى مقدّمة ومبحثين، أمّا المقدمة فقد اشتملت على أسئلة الدراسة والمنهج المستخدم في التحليل وعرض للدراسات السابقة، وحديث عن أهميّة الدّراسة، وتناول المبحث الأوّل الجانب النظريّ؛ حيث عرّجت الباحثة على تعريف الواقعيّة ونشأتها، أمّا المبحث الثاني ففيه حديث عن الواقعيّة في الرّواية في سؤال رئيس هو: ما الذي أضافته الواقعيّة الجديدة على الرّواية العربيّة، وانتهى البحث بخاتمة فيها النتائج، وأهمّ هذه النتائج أنّ الواقعيّة بوصفها مذهباً فلسفيّا فتحت أعين الأدباء على المجتمع فاقتربوا من مشاكله وناقشوها وعبّروا عن نبض الناس.

الكلمات المفتاحيّة: الواقعيّة الاجتماعيّة، الفلسفة، الرّواية العربيّة.

Social Realism and its Impact on the Arabic Novel, a Reading of Selected Models

Abstract

This research examines an important historical period in the history of the development of the Arab novelist in terms of form and intellectual content, which is the stage in which the Arabic novel was affected by global social realism when it seeped into Arabic literature, where the novelists began to express society and its concerns depending on the philosophical views of this philosophical intellectual current in their narratives.

(1) وزارة التربية والتعليم، الأردن.

(2) جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

* الباحث المستجيب: sbhabynskhr@gmail.com

The research relies on the descriptive inductive approach, using the historical approach to narrate the phenomenon, then trace it and describe it. The researcher deals with the roots of realism in the Arabic novel, and explains its importance in developing and advancing the novel as a human art worthy of attention, and the fact that the novel is an important theater for presenting reality and portraying it in the best way.

The research was divided into an introduction and two sections. As for the introduction, it includes the study questions, the methodology used in the analysis, a presentation of previous studies, and the aims of the study. The first section deals with the theoretical side; where the researcher touches on the definition of realism and its origin. As for the second topic, it discusses realism in the novel and answers the question: What has the new realism added to the Arabic novel?

Keywords: Social Realism, Philosophy, Arabic Novel.

المقدّمة:

تتعالق الفلسفة مع الأدب منذ أصبح الإنسان يعبّر عن نفسه ومشاعره وهمومه، وأصبح لكلّ فنٍّ من الفنون الإنسانيّة استقلاليّة ذاتيّة، لكنّه يتقاطع في مراتٍ كثيرةٍ مع العلوم الإنسانيّة التي تمدّه بتجربة الباحثين والناظرين، ومن أهمّ الميادين التي تلاقت فيها تأمّلات الإنسان هو الأدب عموماً، فالقطعة الأدبيّة الواحدة ميدان لنقل التجربة الإنسانيّة بغض النظر عن عمقها الشعوريّ، أو سطحيّته، ومن هنا أرادت الباحثة أن تثير قضيّة التأثير القائم بين الفلسفة والأدب، واختارت الواقعيّة كونها من أبسط الفلسفات التي نظّرت للتجربة الإنسانيّة، كما أنّها أثّرت بالأدب وأمدته بطرقٍ جديدةٍ في النّظر والتّأمل، فكان البحث بعنوان: (الواقعيّة الاجتماعيّة وأثرها في الرّواية العربيّة، قراءة في نماذج مختارة)، كما اختارت الباحثة الرّواية مسرحا لاستكناه أثر الواقعية عليها، لأنّ الرّواية وليدة المجتمع وابنته والمعبّر الأبرز عن همومه وتطلّعاته.

أهميّة الدّراسة:

تنطلق أهميّة هذا البحث من أنّه سيكشف عن مسألة التقاطع الفلسفيّ مع الأدبيّ، وعلاقة كلٍّ منهما بالآخر، وعلاقتهما بالمجتمع، ودور الإنسان في هذه الثانية، بوصف الإنسان هو المادة الأساسيّة في المجتمع، والمجتمع هو محور الدراسات الفلسفيّة والأدبيّة، وتهدف هذه الدراسة إلى استكناه هذه العلاقات والكشف عنها بين ثنايا النّصوص الرّوائيّة المختارة.

والأهميّة من اختيار الرّواية ليطبق عليها مثل هذه الدراسة؛ نظرًا لأنّها تحمل هموم المجتمع، وتكشف عن واقعه وخفاياه ومكنوناته، والأخلاق والسلوكيّات الإنسانيّة، وبعض القيم، حيث تصوّر الرّواية الواقع الذي أنتجت فيه تصويراً بعيداً عن الإغراق في الخيال والمثاليّات، إذ تصوّر الواقع تصويراً جاداً، وتوجّه اهتماماً نحوه ولا شيء سواه.

كما أنّ تمثّل المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ في البحث، له دور في اختبار هذا المنهج وإغناء الدراسات الوصفيّة بجملة من الدراسات التي تتبنى أدبيّات هذا المنهج بالاعتماد على ما جاء فيه وتوظيف هذه الأدبيّات في تحليل النصوص، وهذا ممّا لا شكّ فيه يفضي في نهاية المطاف إلى تنوّع الدراسات الوصفيّة وغناها.

أسئلة الدّراسة:

يشمل العنوان على مفردات الدراسة، فهو يشير إلى مسألتين تصبو الباحثة إلى استكشاف ملابساتهما، وهما: مفهوم الواقعيّة الاجتماعيّة في الفلسفة والأدب، وثانيتهما الرّواية العربيّة ومقدرتها على احتواء المذاهب الفلسفيّة، ويتفرّع من هذين السؤالين أسئلة عدّة، كالسؤال عن علاقة الفلسفة بالأدب، والطريقة المناسبة للتعبير عن القضايا الفلسفيّة بطريقة أدبيّة، وهل يمكن أن يكون الأدب أداة للتعبير الفلسفيّ أم لا يمكن.

منهج الدراسة:

يسير البحث في ضوء المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ، مع الاعتماد على المنهج التاريخيّ في بعض الأمور التي لها علاقة بولادة الواقعيّة، ونشأتها، والمنهج الوصفيّ من المناهج النظريّة التي تروم وضع المادة المدروسة أمام المرآة وتصويرها تصويراً فوتوغرافيّا ثلاثيّ الأبعاد، ونقل التفاصيل الدقيقة وغير الدقيقة للموضوع بالوجهة التي تخدم أسئلة الدراسة، والهدف العام منها.

كما يُسهّل هذا المنهج على الدارسين من وجهة تصنيف المواد، ومعرفة شكلها العام قبيل الانطلاق في اختيار منهج مساعد للتحليل والوصول إلى الغايات، كالاعتماد على المنهج التاريخيّ مثلاً في هذا البحث، إذ شعر الباحث أنّه بحاجة إليه وهو في طور جمع المادة، فالمنهج الوصفيّ الاستقرائيّ للظواهر لا يمكن أن يقوم وحده في معالجة النصوص، ولا بد من الاعتماد بين الفينة والأخرى على منهج مساند.

واقتضى المنهج المُتّبع في هذا البحث أن تُقسّم الدراسة إلى مقدّمة تتضمن الإطارات العامة التي تسير الباحثة ضمنها، وفيها أسئلة الدراسة، وأهميّتها والدراسات السابقة، يتلوها مبحثان: أوّلهما نظريّ دار حول التعريفات المصطلحيّة، وثانيهما إشارة إلى جملة من الأعمال الرّوائيّة التي ظهرت فيها الواقعيّة الاجتماعيّة، وانتهى البحث بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

تتمحور هذه الدراسات حول الواقعيّة الاجتماعيّة في الأدب عموما والرّواية خصوصاً، أمّا الدراسات التي كُتبت في ضوء هذا المنهج فكثيرة، وهي أكثر ممّا تُحصى، لأنّ المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ أكثر المناهج تداولاً في الدراسات العربيّة، وستعمد الباحثة لأن تشير إلى جملة من الدراسات التي تحدّثت عن الواقعيّة في الرّواية:

1. بحث (الواقعيّة السحريّة في خماسيّة مدن الملح لعبد الرحمن منيف)، تأليف رضا ناظميان، ويسرا شادمان، مجلة إضاءات نقديّة، العدد التاسع والعشرون، آذار 2018م.

هذا البحث تناول الواقعيّة السحريّة التي تقوم على الثنائيّة الضديّة بين الواقع والخيال، بالجمع أو المزج بين السحر والخيال والمجاز والواقعي البسيط المعيش، فهي تمزج بين العالمين الواقعيّ واللاواقعيّ، ويشغل البحث الصفحات: 105 إلى 129 من المجلة، وهو يتّفق مع بحثي بأنّه يتناول جانباً من جوانب الواقعيّة، ويختلف في أنّه يبحث عن ضد الواقعيّة في الرّواية وهو الخياليّ والسحريّ، واللاواقعيّ.

2. بحث (إستراتيجيّة السّرد وواقعيّة الرّواية المعاصرة في السعوديّة)، تأليف عبد الرحمن محمد الوهابيّ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، قسم الآداب والعلوم الإنسانيّة، المجلد: 19، العدد: 1، 2011م، 1432هـ.

وهو بحث يهدف إلى مناقشة طبيعة السرد في الرّواية المعاصرة في السعوديّة، منذ عام 2001م، لغاية 2011م، والبحث يسير في محاور ثلاثة، تبدأ بالرؤية النقديّة إلى الأسلوب والشكل الروائيّ، انتهاء بالمحور الثالث تحت عنوان سياسة السرد وخلفيّة الإبداع والنقد الروائيّ.

كما ناقش البحث مسألة ظهور الرّواية المعاصرة في شكلها سواء الفنيّ أو الثيميّ، وأسلوبيّة التشكل، وصورة الواقعيّة للرواية المعاصرة التي توصف الروايات بها لقربها من ملامسة قضايا الواقع المعيش.

وتتفق هذه الدراسة مع بحثي في أنّهما يسلّطان الضوء على الواقعيّة في الأدب، ويختلفان في أنّ دراستي شملت عموم الأعمال الرّوائيّة العربيّة دون تحديدها في قطر محدد.

3. بحث (الاتجاه الواقعيّ في الرّواية الجزائرية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجاً)، رسالة ماجستير، إعداد: زين بركاهم، إشراف: حباب بلقاسم، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائري.

يروم هذا البحث إلى الكشف عن العوامل والظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي نشأت فيها الرّواية المختارة نموذجا للدراسة، حيث تم التعريف بالواقعيّة حسب التسلسل التاريخي لنشأتها، ثم بحث في الرّواية عن الواقع الاجتماعيّ فيها، وكيف أثّر الواقع عليها، وعرض فيها، كما استعرض مشكلات عدة وناقشها، مستعيناً بمحطات من رواية (ريح الجنوب) ومن هذه المشكلات: الفقر والظلم والحرمان، كما بحث بين ثنايا الرّواية عن الجوانب الدينيّة والثقافيّة وعلاقتها بالواقع والمجتمع، وكذلك الواقع السياسيّ والاقتصاديّ أيضاً، فهما من العناصر المهمة والفاعلة في الواقع والمجتمع.

استفاد البحث من هذه الدراسة بالتطبيق، حيث استقى الطريقة والجوانب التي تناولها البحث، فتناول البحثان جوانب مظلمة في الواقع وهي الفقر والحرمان والظلم، وزيادة على ذلك تحدّث بحثي عن العلاقات المشبوهة في المجتمع، كما أنّ بحثي هذا يختلف باختياره زاوية مختلفة ومهمة وهي الزاوية الفلسفيّة وعلاقتها بالواقعيّة وتطبيقها على الروايات المختارة نماذجًا للدراسة.

وغير ذلك من الدراسات العربيّة التي تناولت الحديث عن الواقعيّة، وهي كثيرة وما زالت مستمرة؛ وذلك لحاجة الدارسين إلى مواكبة الحركة الإبداعيّة الرّوائيّة، وتصوير طرق سيرها مع تطوّر المجتمعات العربيّة وانتقالها من مراحل فكريّة محدّدة إلى مراحل فكريّة مستحدثة، كالانتقال من مرحلة الاحتلال إلى مرحلة التحرّر، والانتقال من مرحلة الوصايا الغربيّة على بعض الأنظمة إلى مرحلة القيادة الوطنيّة، والنهج النهضويّ الذي تسير في ضوئه أغلب المجتمعات العربيّة في عقد أو عقدين من عمرها، وستتناول الباحثة في مبحثين لاحقين شكل الواقعيّة في الأدب وتأثيرها على الأعمال الرّوائيّة العربيّة.

المبحث الأول: الواقعيّة الاجتماعيّة النشأة والتكوين:

جاءت كلمة واقعيّة من المفردة الفرنسيّة (realism)، بمعنى الواقعيّ، لتمثّل كلّ نوع من الأفكار والتأمّلات والإبداعات التي تحاكي الواقع المعيش، فهي مذهب يلتزم فيه التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة والحياة كما هي، وكذلك عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات دون نظر مثاليّ(الحمداني، 1409هـ، 156)، لكنّ المعنى المرتبط بهذه اللفظة قديم، وليس حديثاً، فالواقعيّة بوصفها ممارسة فلسفيّة فكريّة تعود في جذورها إلى أرسطو وأفلاطون، فأرسطو مثّل المذهب الواقعيّ الحسيّ المعيش، بينما جنح أفلاطون إلى المثاليّة، وبين هذين القطبين من النظر نشأت النظريّات المثاليّة والواقعيّة، وفي العصر الحديث ظهرت أنظار تكمّل هذا الخط من الفلسفة، فكانت المثاليّة المتمثّلة بالمذهب الرومانسيّ، ثمّ نشأت الواقعيّة ردّة فعل عليها، وتمازجت هنا الفنون مع بعضها، لتدخل الواقعيّة في النّحت وفي الرّسم وفي الأدب، وفي الإنسانيّات عموماً(صليبا، 1982، ج2/552-553)، فالواقعيّة في هذا التعريف هي تعبير عن الواقع منذ أرسطو وحتى وقتنا هذا، لكنّها تأخذ بتفرعات وأشكال عدّة باختلاف العلم الذي تتدرج فيه، لكنّها واحدة من حيث المضمون والجوهر.

وفي الأدب تعدّ الواقعيّة مذهباً ظهرت ملامحه في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين في عام 1930م في فرنسا ثم انتقلت منها إلى العالم، ويشير سعد الدين كليب إلى أنّ الواقعيّة بدأت في التأصّل منذ بزوغ التوجّه الجماليّ الذي كرّسته البرجوازيّة وتبلور على يد الفيلسوف الفرنسيّ دونيز ديدور (D. Diderot) (1713-1784م)، حين دعا مع التنويريّين إلى ربط الأدب بالواقع، وطالب الأدباء بأن يبحثوا عن حوادث الأزقة وبأن يراقبوا الناس في الشوارع والحدائق والأسواق والبيوت(كليب، 1998، 71-72)، وتعرّف من منظور الأدب على أنّها "شكل من أشكال الفنّ الرافضة لِأَمْثَلَةِ الواقع، وإبراز الأشياء كما هي، وفي هذا المعنى ليس ثمّة واقعيّة مطلقة لتعزّز تمثيل الطبيعة إلّا من خلال مزاج الفنان" (عبد النور، 1984، 287)، وتكون الواقعيّة في الأدب بهذا الطرح قد نشأت انعكاساً للواقع الإنسانيّ بصورة أدبيّة، وهي في مضمونها ردّة فعل على الرومانسيّة التي استغرقت في الخيال، والنزوع الأسطوريّ(جلالي، 2021م، 448).

والواقعيّة الاجتماعيّة بوصفها فنّا أدبيّا، هي فنّ نقديّ ظهر بعد الرومانسيّة، فالواقعيّة بوصفها تيّاراً أدبيّا "تعني المعالجة الموضوعيّة للواقع، دون تدخّل من الكاتب، وقد أطلق الغربيّون مصطلح الواقعيّة على كلّ نتاجٍ فكريّ يعتمد الحياة الإنسانيّة والطبيعة، وكلّ ما يدخل نطاق الإدراك الحسيّ، وذلك قبل أن يرتبط مفهومها بالأدب" (الحمدانيّ، 1409هـ، 156).

وكون الواقعية نقيضة الرومانسيّة؛ لأنّها نزعت إلى دفع الأديب لخلق عوالم مختلفة من العدم؛ ليبعث فيها الحياة من جديد فتمتاز أعماله بالخياليّة، بينما تنهض الواقعيّة للتعبير عن التفاصيل اليوميّة الحقيقيّة، بمظاهرها الاجتماعيّة المختلفة، لدرجة أنّ هذا التعبير قد يأخذ أحيانا شكل النقل الفوتوغرافيّ التسجيليّ المباشر، لكن ليس كواقعيّته المباشرة، والواقعيّة بعكس الرومانسيّة هي عمليّة صياغة الواقع وإبداعه من جديد بطريقة واعية تقوم على التصوير والنّمذجة مع نوعٍ خاص من المتخيّل الذي لا يغيّر من واقعيّة الأشياء(يوسف، 2013، 9).

وتنقسم الواقعيّة وفق منظور النقّاد إلى أنواع عدّة، كالواقعيّة المثاليّة، والواقعيّة الساذجة، والواقعيّة الطبيعيّة، والواقعيّة السحريّة، والواقعيّة الاجتماعيّة، والواقعيّة السياسيّة، والواقعيّة الأخلاقيّة، والواقعيّة الدينيّة وغيرها(الحمداني، 1409، 155)، ولا شك أنّ الحراك الاجتماعيّ للإنسان وفق هذه المنظومات سيولّد نوعاً من الصراعات بين البنى الاجتماعيّة الحاكمة والناظمة، وهو ما يطلق عليه صراع الطبقات(مصايف، 1984، 291)، وهو صراع ينشأ عنه غالباً نظريّات أدبيّة؛ لأنّ التيارات الأدبيّة والاتجاهات الأدبيّة ترصد الحراك الاجتماعيّ، ويأتي الأدب لاقتراح الحلول للمشاكل التي يواجهها المجتمع بتصوير الصراع الطبقيّ بين العمال والفلّاحين وطبقة الرأسماليّة المتنفّذة، والبرجوازيّين مع الإشارة إلى أنّ الطبقة الاجتماعيّة المسحوقة هي التي تنتصر على الطبقة الثانية التي تعدّ رأس الشر في المجتمع الواقعيّ الإنسانيّ(قادر، 2011، 8).

إلا أنّ الباحثة ترى أنّ هذه التقسيمات تقسيمات موضوعاتيّة تخصّ المادة المدروسة ولا تخصّ الواقعيّة بمفهومها الفلسفيّ المرتبط بلفظة(realism)، وعلى ذلك فإنّ الواقعيّة واحدة من حيث المبدأ الفلسفيّ وتعني التعبير عن الواقع الإنسانيّ بسياقاته الحياتيّة المعيشة بين الناس، لكنّ الأدب وطريقته في إعادة تشكيل المفاهيم قد يضفي نوعاً من الفنيّة على هذا الواقع فيظهر وكأنّه نوع مستقّل دينيّ أو تاريخيّ، أو سياسيّ...لكنّه في المحصلة (واقعيّة) تلامس حياة الناس في أماكن تواجدهم اليوميّة في البيت وفي العمل، والأماكن المختلفة.

وللواقعية عدّة سمات وخصائص تميّزت وهي أنّها تهتم بالوصف الدقيق للشخصيّات والأزمنة والأمكنة، ومحاكية الواقع بكلّ مجريات الأحداث، وفي مرحلة الانتقال من الرومانسيّة إلى الواقعيّة، فقد صوّر الأدب الواقعيّ الاجتماعيّ صراع الطبقات، ونقل مجريات الأحداث الإنسانيّة بصورة تفصيليّة تسجيليّة، فعاشت مع الفلاح، ومع العامل، ومع الإنسان البسيط في الأماكن التي يتواجد فيها، وهنا كانت متأثّرة بالمدّ الاشتراكيّ الذي غزا أوروبا والعالم (مروة، د.ت، 93).

علاوة على وجود سمة (النمذجة)، والتي هي تجسيد لشخصيّات واقعيّة قريبة من الناس، لها تأثيرها الخاص عليهم، كالدرويش، والمجنون، والبائع المتجول، والطبيب الشعبيّ، ولا شك أنّ هذه النماذج على بساطتها لها تأثير واسع على المتلقّي لأنّها تمسّ واقعاً يعيشه، فنقلت الرّواية الواقعيّة هذه النماذج، وأشارت إليها كونها تمثّل الواقع البسيط المعيش، والثيمة الرئيسة لهذا النوع من البناء الواقعيّ الاجتماعيّ للشخصيّة النموذج إنّما هو تحويلها فنيّاً من التعبير عن واقع خاص بها إلى واقع عام، بالانتقال من الخصوصيّة الفرديّة للشخصيّة النموذج إلى التعميم، بإبداع شخصيّات نموذجيّة تتحوّل إلى مواقف جمعيّة نموذجيّة(فضل، 1978، 90)، وعندها تمثّل واقعاً موضوعيّا يُحتذى، في الوقت نفسه الذي تُفرغ فيه الطبقة البرجوازيّة الفردانيّة ذات الحكم المطلق من أيّ تأثير على حركة المجتمعات وسيرها.

وتتلخّص هذه السّمات والخصائص بالانطلاق من الواقع الاجتماعيّ البسيط والتعبير عنه، ونقل حالة الإنسان الطبيعيّة بعلاقته المعتادة مع المجتمع (ويليك، 1987، 165)، وصرف النظر عن الخيالات والاستغراق في التأمّل، والنّظرات المتعالية، واستبدال ذلك بالتعبير المباشر عن الواقع الاجتماعيّ (دراج، 1989، 20)، أضف على ذلك أنّ حياة الناس البسيطة هي مصدر الأدب، بتصويرها كما هي، وفق نظريّة الانعكاس، التي تعكس حقيقة المجتمع الواقعيّة في الأدب. علاوة على معالجة المجتمع من الأخلاق السلبيّة الفاسدة والاستغلاليّة، والعبوديّة، والفردانيّة، والظلم، والإدمان، باستعمال طريقة الرصد لكل ما هو غير أخلاقيّ، وتسليط الضوء عليه ومحاربته، دون تقديم الحلول من الأديب، بل يترك الإنسان الاجتماعيّ هو الذي يتلمّس هذه الآفات وأضرارها والانتقال لمرحلة ثانية من محاربتها للتخلّص منها(محمود، 2020، 30)، كما أنّها تنحّي المؤلف عن تحليل الحكم وإطلاقها، فجاءت شخصيّات الأدب الواقعيّ حرّة غير مقيّدة، أمّا المؤلّف فهو شاهدٌ عيان لا أكثر ينقل الأحداث كما هي، لكنّه يحلّل بالبحث عن الأسباب والعلّل والدوافع والموجّهات التي أوصلت الناس إلى هذه الحالة من الأخلاق والأفعال.

ويفضّل الواقعيون النثر على الشعر لأنّ النثر هو لغة الناس (الأصفر، 1969، 142–143)، وطريقة تواصلهم عبر الأعمال النثريّة لا الشعريّة؛ لأنّ الشعر يندرج ضمن اللغة الجماليّة الخياليّة بينما يمتاز النثر بالمباشرة والواقعيّة.

ولعلّ السّمة الأبرز للأدب الواقعيّ الاجتماعيّ هي المباشرة والتقريريّة والتسجيليّة لأحداث الإنسان في مجتمعه كما تراها عين الأديب دون إعمال الأدب والخيال فيها لدرجة كبيرة؛ لذلك ناسبت أن تعبّر عن مرحلة انتقال المجتمعات من الرومانسيّة والبرجوازيّة إلى تمجيد الإنسان البسيط والأخذ بيده بعد انتشار الأفكار الاشتراكيّة، فكثرت الأعمال الأدبيّة من

هذا النوع، وعبّرت عن حياة الفلاح البسيط وصغار الكسبة في سوريا ومصر والعراق والبلاد العربيّة عموماً، فاصطبغت روايات كثيرة بصبغة الواقعيّة الاجتماعيّة وأثّرت فيها تأثيراً مباشراً في الشخصيّات والأزمنة والأمكنة والبناء العام بجملته.

المبحث الثاني: ظهور الواقعيّة الاجتماعيّة في الرّواية العربيّة:

تمتاز الرّواية من بين الفنون الأدبيّة في أنّها قادرة على اختزال الفنون الإنسانيّة عموماً بين دفّاتها؛ فهي ميدان خصب للأجناس كلّها تقريباً، وهذا مردّه إلى مرونة السّرد وقدرته على استيعاب الفنون في الفضاء الروائيّ، فكان الفلسفيّ من القضايا الفكريّة الحاضرة بقوة في الرّوايات العربيّة، فالفلسفة والأدب كلاهما يجعلان من المجتمع مصدراً من مصادر الوجود، إذ يحاول الفيلسوف والأديب أن ينقلا ما في المجتمع بعدسة فنيّة جماليّة، ومعالجة الصورة بطريقة يعبّر فيها كلّ منهما على تجربته ورؤيته الفنيّة، وهذا ما يجعل الرحلة شيّقة أمام البحث في تعانق هذين الفنّين الإنسانيّين في التعبير عن ملابسات المجتمعات وحركة نموّها العموديّة والأفقيّة في الزمن، وقد عدّ الشكل الروائيّ من أكثر القضايا النقديّة في القرن العشرين من حيث تناول الوظيفة التي يحملها في صور مختلفة، وبهذا تكشف الواقعيّة عن بعد الروائيّ وقربه من واقع المجتمع، وملامسته هموم الناس وعكسها في الرّواية، كما تكشف الرّواية نفسها عن هموم الجماعة ومشاغلها.

ولعلّ من أهمّ القضايا التي تأثّرت فيها الرّواية العربيّة بالواقعيّة الاجتماعّية فكرة (الطبقيّة)، ولا سيما في المرحلة التي شهدت الانتقال من حالة الاستعمار الغربيّ إلى التحرّر وما تلاها من حُكم الإقطاعيّين الذين يُعدون ذَنَبًا من أذناب الاستعمار لكن من أبناء جلدتنا، فكما عبّرت الواقعيّة من زاويتها الفلسفيّة عن قضايا الإنسان المعيشة، فإنّ الرّواية أيضًا جسّدت هذا الواقع، حيث تناولت هموم الإنسان الحياتيّة كالصراع بين تعاليم الدين وموجات العولمة الحديثة، والصراع الطبقيّ، والبحث عن الهويّة، والسقوط الجنسيّ، والآفات الاجتماعيّة كالفقر والفقد، والتسكّع والبلطجة، ونضال الإنسان في سبيل التحرر أو في الدفاع عن وطنه، وتسليط الضوء على البطل الشعبيّ، وهذه القضايا الإنسانيّة منها ما يخصّ الشّخصيّات ومنها ما يخصّ الزمان ومنها ما يخصّ المكان، ويمكن أن نحلّل هذه القضايا وفقاً للموضوع الذي يتعلّق بالواقعيّة في النصوص المختارة، وهي:

أولاً: الفقر:

والأعمال الرّوائيّة التي تأثّرت بالواقعيّة الاجتماعيّة كثيرة منذ دخول هذا الفنّ على الأدب العربيّ، وأهم جانب يلتفت إليه الأديب الواقعيّ هو 'الجانب الاجتماعيّ' لذا فهو يولي عناية خاصة بالصراع الطبقيّ، كما يولي عناية كبيرة

بتحديد الأزمات الاجتماعيّة وبيان أسبابها وأثارها، فيكون بذلك شاهداً على الواقع الذي يعيش فيه(مصايف، 1984، 91)، ففي رواية (الجوع) يسجّل الكاتب محمد البساطيّ حياة الإنسان المسحوق في صراع الطبقات، الذي رافق مرحلة الانتقال بين النظم السياسيّة في أول القرن الحادي والعشرين، بالانتقال إلى الرأسماليّة على حساب سحق الطبقة المهمّشة، فكلّ طبقة تصارع لأجل البقاء على ما هي عليه من أمان اقتصاديّ ومعيشيّ، فالصّراع الطبقيّ في هذه الرّواية ليس صراعا تقليديّا بين طبقة حاكمة وأخرى مسحوقة كادحة، بل صراع بين طبقتين كادحتين كلاهما محكوم.

لقد عكست رواية (جوع) واقعيّة الإنسان البسيط الذي يكافح للحصول على لقمة عيشه، وكفاحه يكون في عمله، وقد يكون ربّ العمل هو الآخر فقيراً مسحوقاً لطبقة ثريّة حاكمة، فقد نجح المؤلّف في نقل الحالة الاهتزازيّة للمجتمع المتحوّل من الاشتراكيّة إلى الرأسماليّة التي أحدثت شرخاً واضحاً في طبيعة المجتمع الكادح، وقد ركّز المؤلّف حديثه على أبناء الطبقة الكادحة من ذوي الطموح ببناء مستقبل زاهر لهم، فقد أخذت الفتاتان اللتان تعملان في بيت الحاج هاشم تآمرتا على سكينة الفتاة الكادحة التي تعدّ أفقر منهما، لأنّها كانت تسعى للحصول على حظوة وقدم سبق عند عائلة الحاج هاشم، كانت سكينة تبحث عن عمل كريم تسدّ رمق عائلتها، لكنّها اصطدمت بغيرة الطبقة المتوسطة المملوكة هي أيضا لطبقة الأثرياء، "قالت سكينة إنّها تريد الست هانم... وعايزاها في إيه؟ عايزاها في حاجة، مال رأي البنت جانباً وبانت في عينيها نظرة غير مريحة، قالت حاجة إيه" (البساطي، 2013، 200/3) ظهرت غيرة الفتاة على موقعها وحظوتها في عائلة الحاج هاشم، فكان سلوكها عدوانيّا مع الفتاة المسكينة التي تبحث عن عمل، لا ينظر الأديب الواقعيّ إلى هذه التفاصيل على أنّها تافهة، بل يوليها اهتمامه، وينقلها في أعماله، ويحاول التخلّص من الصفات السلبيّة التي تعانيها الشخصيّات بغية تطهير المجتمع. وثمّة سمة واقعيّة ثانية في المقبوس السابق ويكاد يكون ظاهرة في رواية الجوع، وهو استعمال اللهجة العاميّة في الحوارات، ممّا يجعل الحوار تسجيليّاً واقعيّا دون أن يُعمل المؤلف فيه سرديّة فنيّة منمّقة تسلب واقعيته.

ثانياً: العلاقات المشبوهة:

وتعدّدت تأثيرات الواقعيّة على الرّواية الاجتماعيّة فتناولت السقوط الجنسيّ في العلاقات الجنسيّة المحرمة، ونقلتها بشكل فاضح، فقد تأثّر الأديب بالواقعيّة لينقل المشهد الحميميّ نقلاً تسجيليّاً واضحاً للعيان دون استعمال الرموز والكنية، كما في رواية (فصام) للروائيّ الطبيب إبراهيم الخضير، التي نقلت حياة البطل (عنبر) الذي يعاني من مرض اضطرابيّ هو مرض الفصام، لكن المفارقة كانت في حنكته في خداع الناس، وإبراز الوجه السمح أمامهم، لكنّه في واقع الحال بلاء

عليهم، حيث يضاجع النساء في القرية بحجّة أنّه يعالجهنّ من أمراضهن" أشار إليها عنبر بأن تخلع ملابسها...خلعت حجية ملابسها، حتى أصبحت عارية تماماً...طلب منها عنبر أن تتمدّد على بطنها...بدأت يداه تجوسان بهدوء وحنان ظهرها، ثم نزل إلى مؤخرتها وردفيها وفخذيها...فجأة اقترب منها أكثر وخلع ثيابه الداخليّة، شعرت هي بقربه، بدأت ترفع مؤخرتها..."(الخضير، 2018، 94)، على الرغم من رغبة المؤلّف أن ينقل لنا هذه التفاصيل الواقعيّة إلّا أنّ تتبّعه للمشهد بكلّ تفاصيله ممّا يعطيه السّمة الواقعيّة الأبرز على مستوى الرّواية، وخصوصاً أنّ الحادثة حصلت في القرية التي يعيش فيها عنبر، ممّا يعطي تفصيلاً أكثر لهذا المشهد بملامسته حياة الناس في أماكن عيشهم، ويتجسّد الشكل الواقعيّ في الرّواية "في حياة الإنسان في بيئة معيّنة وفي وضعه الاجتماعيّ بما يطبعه من بؤس أو رخاء، وعلائقه بالإنسان والأرض، وموقفه من الأنظمة والقوانين الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وأخيراً في مشاعره وأحاسيسه وعواطفه، إنّه واقع واسع يشمل مظاهر الوجود الإنسانيّ في مجتمع معين"(مصايف، 1984، 261).

وللفقر ضريبةٌ أخرى هي التشرّد التي رسمتها سمر يزبك في روايتها رائحة القهوة، التي تتناول أوضاع المشرّدين السيّئة، وحلمهم في حياة طبيعية كسائر الناس، كما أنّ هذه الرّواية تفصح عن الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة للمجتمعات، وتصف هذه الأوضاع وصفًا دقيقًا، وتكشف عن الشخصيّات التي أثّر عليها الفقر وأبعدها عن المجتمع الذي تعيش فيه، وتتمنى أن تكون عضواً فاعلاً فيه، لكن لا يتسنّى لها ذلك، لكن يزبك "لا تقدم حلولاً لهذه الطبقات المهمّشة في المجتمع، إنّما تصف لنا وبدقة من خلال أدواتها الرّوائيّة الحياة الصعبة التي تعيشها هذه الفئات، وتبقي الباب مفتوحًا أمامنا للتعاطف مع هذه الفئات" (البقمي، 2021، 972)، وتصف الرّواية تعرّض الشخصيّات للاستغلال المعنويّ والجسديّ، خاصة المرأة، وخوف تلك الشخصيّات من القادم المجهول، فتقول يزبك في "رائحة القرفة" اللحظة التي نظرت فيها الشرور بعيني سيّدتها، الخوف من شيء مجهول لم تعرف كنهه يوماً، مع أنّ طعم الخوف سكن قلبها منذ زمن بعيد، لكنّ غشاوة كانت تفصلها عنه، غشاوة رقيقة وهشّة لن تزيدها صلابة كلّ التجارب التي ستعيشها في سنواتها القادمة" (يزبك، 2008، 16)، كما أنّ هذه الشخصيّات وإن حلمت بالحياة الطبيعيّة إلا أنّها لن تنالها ولن تصبح مثلها أبداً، حتى وإن كانت قريبة منها تعيش في كنفها لكنها ستبقى أقل منها وعرضة للتهميش والاستغلال الجسديّ، الذي ستمتثّل إليه وإن كانت مرغمة بذلك إلا أنّها تجبر نفسها على المتعة رغماً عنها، محاولة الخروج من وافعها المؤلم" كانت تقضي نهاراتها

تحلم بالليل الذي سيحوّلها إلى ملكة، تفكّر بالتفاصيل، تفاصيل الليل الذي تحبّه، وتنتظره الليل الذي تطلبها فيه سيّدتها بعد عودتها من إحدى سهراتها، ليل التواطؤ القادر على ملامسة شغاف قلبها"(يزبك، 2008، 14، 15).

ثالثاً: الاستغلال:

وتناقش الواقعيّة أيضاً هموم الإنسان من كلّ جهاتها، فلم تغفل الحديث عن مسألة الهجرات والهويّة، فالحالة العربيّة التي كانت سائدة بعيد حصول البلاد العربيّة على التحرّر من الاحتلال الغربيّ هي حالة من الفوضى والهجرة بين الناس، وثمّة عملان روائيّان ناقشا مسألة الهويّة بوصفها واقعاً عربيّاً معيشاًهما: رواية ساق البامبو لسعود السنعوسيّ، ورواية سمراويت لحجي جابر، وهما روايتان لامستا حياة الناس في واقعهم الحقيقيّ من رؤية فلسفيّة واضحة، فرواية ساق البامبو صورة النظرة الطبقيّة في المجتمع العرقيّ الأحاديّ الذي لا يتقبّل الآخر لمقتضيات كثيرة جداً، فقد انشغلت الشخصيّة المحوريّة (عيسى) بإشكاليّة فقدان الهويّة، والتيه، والتشتّت، وعدم معرفة الذات، مع عدم تقبّل المجتمع له، فيقول: "عندما كنت هناك، كان الجيران وأبناء الحيّ، ممّن يعرفون حكايتي، لا ينادونني بأسمائي التي أعرف، ولأنّهم لم يسمعوا ببلد اسمه الكويت، فقد كانوا ينادونني Arabo، أي العربيّ... أمّا هنا فإنّ أول ما أفتقده هو ذلك اللقب... لأكتسب لاحقًا لقبًا جديدًا ضمّته الظروف إلى جملة ألقابي... هو الفلبيني! "(السنعوسي: 2012، ص17)، فالصورة الراهنة هي صورة الانكسار والضياع وعدم الانتماء، وهذه مشاعر وجدانيّة متأجّجة وتعبّر عن حالة الرفض التي يمارسها المجتمع مع الأشخاص من أبواب العنصريّة، وهي من أخطر الآفات الاجتماعيّة السلبيّة التي عالجتها الواقعيّة بتسليط الضوء عليها بغية محاربتها والتخلّص منها في المجتمعات.

أمّا رواية سمراويت فهي ذات طابع واقعيّ آخر مختلف فهي بمعالجتها مسألة الهويّة الضائعة فإنّها تعبّر عن تصدّع المجتمعات العربيّة من داخلها، فقد هاجرت عائلة عمر وهو جنين من أرتيريا إلى جدّة في السعوديّة هرباً من الحرب الدائرة هناك، ليولد عمر في جدّة ويكبر فيها ثلاثين عاماً، بين هويتين: هوية الواقع المعيش بشعوره أنّه سعوديّ يحمل ثقافة هذا البلد، وبين شعوره بأنّه أرتيريّ يحمل أوراقاً ثبوتيّة ولوناً إفريقيّاً.

وفي إطار آخر جاء في رواية (أيام بغداد) يروم خليل الجيزاوي إلى نقل صورةٍ عن المسحوقين والفقراء، ممّن يعيشون ببساطة على الرغم من الفقر المتفشّي بهم، وكيف يعيشون تحت وطأة الاستغلال لكسب قوت يومهم، حتى أنّه جنح إلى نقل الواقع المأساويّ الذي يعيشون تحته، وتحت ضغوطات الحياة التي تدفعهم لتقبّل ذلك، وهذا منشؤه الصراع

الطبقيّ الحاصل في هذه الحالة، من تسلّط الغنّي على الفقير، واستغلال حاجاته، ونظير ذلك تقبّل الآخر الفقير لكلّ ما يقع عليه من ظلم واستبداد واستغلال، حتى أنّه يضحّي بنفسه من أجل تحصيل قوت يومه، ومثل لذلك بما حدث بين صاحب محل الكشري والعامل عنده فيقول: تذكّر كيف عمل في محل الكشري الشهير بميدان الجيزة، واضطرّ بعد شهر إلى ترك العمل؛ لأنّ صاحب العمل ظلّ يلحّ عليه أن يكمل الورديّة الثانية؛ لغياب زميله المتكرّر عن العمل، وتذكر أنّ رجليه تورّمتا من العمل طوال أكثر من 18 ساعة بالعمل المتواصل، ومع ذلك لم يعطه صاحب محل الكشري أجره مقابل الورديّتين كاملاً، رجع للسكن ونام مثل القتيل من التّعب، وعندما اشتكى لزميل العمل باليوم التالي، فأخبره أنّ هذا هو السبب لغيابه المتكرّر حتى يعرف صاحب العمل قيمة العامل ويعطيه حقّه كاملا"(الجيزاوي، 2019، 10)، وهنا ينقل الراوي معاناة الطلّاب العراقيّين القادمين إلى مصر للدراسة، ويتم استغلال حاجتهم وغربتهم بشكل أو بآخر.

رابعاً: الهويّة والغربة:

إنّ الغربة التي شعر بها عمر في السعوديّة في أكثر من مكان، غربة مكتسبة من الأشخاص الذين لم يتقبّلوا وجود الأجانب بينهم، فكانت المواقف الاجتماعيّة تذكّر هؤلاء في كلّ مرة بأصولهم الهوياتيّة، وجنسيّاتهم المنتمين إليها، لكنّ اللحظات الأولى لبطل الرّواية في أسمرا، أظهرت نوعاً آخر من الهويّات، ومن طبيعة تعامل الآخر الذي تربطه بالبطل وحدة الدم، "كنت مرعوباً من فكرة أن تعاملني أسمرا كمسافر ترانزيت، لا يكاد يحطّ رحاله حتى تأخذه وجهة أخرى"(جابر، 2012، 8) ، "حمل سائق التاكسي أمتعتي، بينما لا أزال مستغرباً في تفاصيل الوجوه والأمكنة...(أن تيدروس...هل تريد فندقا بعينه أم أختار لك واحداً؟) (لماذا تظنّ أنّني بحاجة لفندق؟ ألا يوجد احتمال أنّني أملك بيتاً مثلاً؟)"(جابر، 2012، 10) بدت الملامح التي حملها عمر معه كأنّه غريب عن أسمرا، أسمرا التي يفترض أنّها عاصمة دولته الوطنيّة التي يحمل جنسيّتها، والتي ينبغي لها أن تستقبله مواطناً من مواطنيها، والموقف تكرّر في أرتل شركة الاتصالات الوطنيّة في أسمرا، "جاء دوري فالتفتّ إلى إحدى الموظّفات وأومأت، طرحت بين يديها جواز سفري وبطاقتي الأرتريّة، وطلبت شريحة جديدة...

– عفواً هل أنت زائر أم مقيم؟

– زائر يا سيدتي! هل يبدو عليّ أنّني هنا للمرة الأولى؟

كدت أخبرها أنّني بدأت أشكّ أنّ أرتيريا بأسرها تستطيع قراءة ملامحي"(جابر، 2012، 32)، قد تكون هذه الأسئلة عاديّة، وتقال في سياق مشابه مع شخص ولد في أرتيريا وعاش فيها، دون أن تسبّب له ردّة الفعل هذه، لكنّ العابر للبحر والمولود في أرض مجاورة، ويشعر بنقص الهويّة الوطنيّة بالمعنى الثقافيّ وليس السياسيّ، شخص يرى في هذه الأسئلة نوعاً من الانتقاص والإقصاء، فيشعر أنّ أمره مفضوح، وأنّه لا يشبه الناس هنا، إنّه(غريب)، لقد عالجت هذه الرّواية واقع العشرات من العرب الذين ولدوا في أماكن مختلفة، ويحملون ثقافة مختلفة عن ثقافة الآباء الذين ينتمون إلى بلاد ثانية، فحملت همومهم وعبّرت عن مشاكلهم، وغاصت في تفاصيل حياتهم اليوميّة.

وفي نموذج آخر كانت الهويّة حاضرةً، فهي رمزٌ لا بدّ من وجوده في الرّوايات خاصة تلك التي تتّخذ الواقعيّة مذهباً لها، لكنّ حضورها كان بشكل مختلف وتحديداً في الروايات التي تخصّ القضيّة الفلسطينيّة؛ إذ عبّر صبحي فحماوي في روايته (صديقتي اليهوديّة) عن الهويّة بشكل جديد فالعنوان يحمل التناقض، فكيف لفلسطينيّ الهويّة أن يصادق فتاة يهوديّة؟، وهنا يبدأ البحث عن مفهوم الهويّة بين ثنايا الرّواية وصفحاتها، حيث إنّ هويّته وانتماءه وقوميته يحدّان من نشوء علاقة كهذه، بل يمنعان وجودها أيضًا، وهنا تنشأ الإشكاليّة التي تتدقّق من قول الراوي: "تدقّق الأوربيّة أوراقي، لتعرف هويّتي... إنّه العربيّ في المجموعة" (فحماوي، 2015، 6)، وفي مكان آخر يقول الراوي على لسان إحدى الشخصيات:" اسمع! كلّ شيء إلا الصهاينة.. اشتم أبي، والعن أمّي... ولكن الصهاينة خط أحمر!"(فحماوي، 2015، 6) وهنا يتّضح الصراع بين الهويّة الفلسطينيّة وعدوّها الدائم الهويّة الصهيونيّة، فقد عمد الراوي إلى إبراز الهويّة الفلسطينيّة، بل التباهي بها وعدم الخجل منها، كما أظهر الجانب المتضامن مع الهويّة الصهيونيّة، والداعم لها في كلّ مكان، بينما هو يحارب ويدقّق على حامل الهويّة الفلسطينيّة، وهذا التناقض الواضح بين مؤيّد المحتل، ومناهض صاحب الأرض.

لقد حضرت المرأة بقوّة في الرّواية الواقعيّة الاجتماعيّة أيضاً، فالمرأة من موقعها الاجتماعيّ،أمّاًكانت أم زوجة أم ابنة أم حبيبة، تعاني من جملة من المشكلات، ولا سيما أمام المجتمعات المنغلقة على ذاتها، فقد ناقشت رواية (دنيا) لعلوية صبح، مشكلة المرأة المستلبة، والمظلومة، فالبطلة دنيا التي قادتها نظرة حبّرومانسيّة إلى الزواج من مالك ستتحوّل حياتها الزوجيّة إلى جحيم، وتبدأ المعاناة الحقيقيّة بعد الزواج من القسوة والعنف والإقصاء، والتهميش، والظلم، تقول البطلة: "عيناي أرى فيهما أيضاً عجزي وضعفي، بعد أن سرق بهجتهما وطمأنينتهما منذ أن تحوّل بعد أسابيع قليلة من زواجنا إلى رجل آخر لا أعرفه، صار سريع الغضب، قاسياً وعنيفاً، يتذرع بأتفه الأسباب لمضايقتي وإقلاق راحتي، يوبّخني ويعيّرني

بالتقصير، يشتم ويحطّم الأثاث ثم يغادر البيت"(صبح، 2010، ص54)، تنقل المؤلّفة في هذه الرّواية هموم المرأة وتفاصيل حياتها بعدسة تسجيليّة واقعيّة، فالواقعيّة ظاهرة من خلال الأحداث التي تتكرّر بشكل يوميّ مع نساء كثيرات يعانين العنف والقسوة والظلم، والواقعيّة ظاهرة أيضاً من خلال البناء الفنيّ للحوار الذي جاء بسيطاً مباشراً واضحاً، بلغة طريّة أنثويّة مليئة بالعاطفة.

أمّا البطل الواقعيّ الذي يعبّر عن هموم الشارع، بوصفه أحد أفراد الطبقة الكادحة والمسحوقة، يعدّ مادة واقعيّة صاغتها الفلسفة الواقعيّة في مرحلة مناهضتها للرومانسيّة التي تمجّد الأفراد بوصفهم محور العمليّة الإبداعيّة الخياليّة، لتأتي الواقعيّة وتبثّ الروح بالبطل الشعبي البسيط الذي يخرج من بين الناس البسطاء ويحمل همومهم بثقافته البسيطة جداً، وهذا ما يظهر في بعض أعمال الطاهر وطار الذي جسّد تفاصيل الواقع البسيط لشخصيّاته متأثّراً بالأفكار الواقعيّة، كما في رواية الزلزال، التي تبدأ لحظة وصول الشيخ بولرواح إلى قسنطينة قادماً من العاصمة، في يوم جمعة حارٍ بعد غياب طويل عن المدينة، هو يعمل مدير مدرسة خارج قسنطينة لكنه جاء إلى مدينة قسنطينة باحثاً عن أقاربه، كي يوزّع ثروته عليهم قبل أن تستولي الحكومة عليها وتؤممها.

وتأتي واقعيّة هذه الرّواية من تفاصيلها الدقيقة في وصف الأمكنة في قسنطينة، ووصف الشخصيّات وحالتها التفاعليّة مع الأحداث: "أسند ظهره إلى جدار المسجد وراح يحتضن بطنه المنتفخة بذراعيه وهو يحاول انتعال الحذاء، والعرق تصبب من وجهه وعيناه الكبيرتان البارزتان تتّسعان أكثر فأكثر"(الطاهر، 1995، 19)، لقد بدا البطل في هذه الرّواية نموذجاً واقعيًّا لجملة من الاستغلاليّين الذين يستغلّون الفرص لزيادة رأس أموالهم على الرغم من خروجهم من الطبقة الفقيرة، وعندما كثرت أمواله، وتغيّر نظام الحكم بالتحوّل إلى الاشتراكيّة وتأميم المصانع والأملاك الكثيرة بمصادرتها وتحويل ملكيّتها للدولة، آثر بطل الرّواية أن يوزّع أملاكه على الناس الفقراء بنفسه على أن تستولي عليها الحكومة.

الخاتمة:

لقد عبّرت الواقعيّة عن فكرها الإنسانيّ بملامستها هموم الإنسان، والتعبير عن هذه الهموم بطرق شتّى، وكان الأدب من أكبر الميادين التي تأثرت بالنظريّة الواقعيّة، فاستقلال هذه النظريّة بنفسها في الحقل الفلسفيّ لا يعدّ حاجزاً يمنعها من الحضور الأدبيّ، بل على العكس تماماً أفادت الحقل الأدبيّ وأثرته، ووجدت ضالتها في الرّواية التي عبّرت عن

هموم المجتمع، فشابهت الواقعيّة في أنّ الواقعيّة تنقل من عالم الأفكار لأنّها فلسفة، بينما الأدب فينقل من المجتمع وصراعاته الفكريّة والتاريخيّة والحضاريّة.

استطاعت الباحثة أن تتعرّف على الممارسة الفلسفيّة في الأدب، فقد قرأت الواقعيّة من خلال الأعمال الرّوائيّة التي اطّلعت عليها وهذا يدلّ على أنّ الرّواية ابنة المجتمع وانعكاس حقيقيّ له، ومرآة يرى فيها المجتمع نفسه وصورة خالية من التشوهات، بل صورة واضحة وتسجيليّة سرديّة غير غامضة، ممّا جعل الرّواية الواقعيّة سبيلاً بمعالجة قضايا المجتمع، وتطهيره من الآثام.

لقد استثمرّت الرّواية الواقعيّة تفاصيل الحياة اليوميّة، بل لم تتورع عن نقل الحوارات باللهجة العاميّة، وغاصت في التفاصيل ورأت أنّها مهمّة، واحتوت الرّواية الواقعيّة البسطاء من الناس وعبّرت عنهم، ونقلت همومهم، لذلك هي من أقرب الفنون للطبقة الكادحة.

تمتاز الرّواية الواقعيّة بقدرتها على وصف المجتمع وتصويره عن قرب، وتحتفي بذلك لدرجة أنّها تصف أوصافاً متفرّعة تبطئ السرد لدرجة كبيرة، بهدف نقل المشاهدات الواقعيّة كما هي، وجعل المتلقّي يحيط بسياقات الشخصيّات لمعرفة ملابسات الأحداث.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- الأصفر، عبد الرزاق1969، المذاهب الأدبيّة لدى الغرب مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها، منشورات اتّحاد الكتاب العرب.

- البساطيّ، محمد2013، الأعمال الكاملة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة.

- البقمي، لطيفة عائض عبدالله، التشرّد والتمثيلات الطبقيّة في المجتمع في روايتي "سالمين" و"رائحة القرفة" قراءة بنيويّة تكوينيّة، مجلة كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنات، العدد السادس، الجزء الثاني، 2021، دمنهور.

- جابر، حجي2012، سمراويت، المركز الثقافيّ العربيّ–الدار البيضاء.

- جلالي، فوزية، 2021، تجليّات الواقعيّة الاجتماعيّة في القصّة القصيرة، لم أعرف أنّ الطواويس تطير نموذجاً، مجلة الكلية الإسلاميّة الجامعة، الجامعة الإسلاميّة، العدد 63.

- الجيزاوي، خليل، 2019، أيام بغداد، دار المعارف، القاهرة.

الحمداني، سالم أحمد، 1409هـ، مذاهب الأدب الغربيّ ومظاهرها في الأدب العربيّ الحديث، مطبعة التعليم العالي، الموصل.

- الخضير، إبراهيم 2018، فصام، مؤسسة الانتشار العربيّ، بيروت.

- دراج، فيصل1989، الواقع والمثال مساهمة في علاقات الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت.

- السنعوسي، سعود 2012م، ساق البامبو، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

- صبح، علوية 2010، دنيا، دار الآداب، بيروت.

- صليبا، جميل 1982، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- عبد النور، جبور 1984، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية.

- فضل، صلاح، 1978، منهج الواقعيّة في الإبداع، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة.

- فحماوي، صبحي، 2015، صديقتي اليهودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- قدار، قحطان، 2011م، خصائص الواقعيّة الطبيعيّة والواقعيّة الاشتراكيّة، موقع حضارة الكلمة، شبكة الآلوكة الألكتروني، الرابط: www.alukah.net/literature_language/0/33855/

- كليب، سعد الدين(1998)، النقد الأدبي الحديث مناهجه وقضاياه، منشورات جامعة حلب، سوريا.

- محمود، فلاح2020، الشخصيّة المهمشة في ضوء مجموعة ضوء العشب القصصيّة لأنور عبد العزيز.

- مروة، حسين(د.ت)، دراسات نقديّة في ضوء المذهب الواقعيّ، دار المعارف، بيروت.

- وطار، الطاهر1995، الزلزال، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر.

- ويليك، رينيه1987، مفاهيم نقديّة، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة 110، الكويت.

- يزبك 2008، رائحة القهوة، دار الآداب، بيروت.